

بركات العميل، شهيد جنوبي آخر

بقلم الكولونيل شربل بركات

بركات شهيد آخر يقع على درب، ضحية أخرى جديدة تروي أرض لبنان. بركات منازل يسقط من أهلنا، صحيح، هو واحدٌ يضاف إلى المئات الذين سبقوه ليبقى لبنان، لكي تستمر جذوره ضاربة بالأرض وفروعه بالسماء. لا عجب أن تدفع رميش واحداً آخراً من بنيتها وهي لم تسأل يوم سقط لها شهداء بالعشرات على مذبح الوطن. فرميش ركنٌ من أركان سياجه الجنوبي وهي التي قررت قلب الموازين في سنة ١٩٧٦ يوم هربت الدولة أمام جحافل الشر تاركة الأهل للمصير المجهول. يومها، كان بركات جندياً في الجيش اللبناني التحق كأكثر شباب رميش بالقرية ليدفعوا عنها حقد "الأشقاء" ويمنعوا الذل أن يدخلها أو يُخيم فوق بنيتها. وبعد كل هذه السنين والتضحيات وبعد أن قالوا إن الوطن قد قام. وها هي الدولة آتية، هللت رميش للعودة إلى الوطن. وكان بركات قد ترك سلاحه وتحول عمله وجهده إلى لقمة العيش، فالخطر بَعْدَ، والدولة سوف تعود لتحمل المسؤولية عن الناس. لكن الدولة لم تعد، بالرغم من كل ما قيل. وعادت البلاد بؤرة لجماعات الإرهاب تتحكم بها وبأهلها وتفتعل المشكلة هنا وهناك وتهدد الاستقرار الذي قالوا أنه سيسود متى رحل "الأعداء" ومُنِعَ الجيش من الوصول إلى الحدود، ومُنعت القوات الدولية من التمرکز حول القرى، وتركت الأرض وسكانها مسرحاً لجماعات الإرهاب فيزيد تعنتها، ولجماعات المخابرات لتخرب السلم الذي نعمت به المنطقة وأبنائها، وتقتص من كل من لم يرحل أو يُدَل بعد. وبدل أن تستقبل الدولة أهل الجنوب وتكافئهم لأنهم بصمودهم هم أبقوا الأرض فلم يسكنها غريب ولا استقر بها لاجئ ولا عمرها المستعمرون كما في الجولان، "المثل الأعلى"، أو غيرها من "الأرض السلبية"، وبدل أن توزع الأوسمة والتقدير، فتحت السجون وانهال الضرب الذي تعلموه جيداً على يد المحتل فأتقنوه هناك في وزارة الدفاع التي كانت بالماضي رمزاً لكرامة الوطن وأصبحت اليوم "كالبستيل" رمزاً للقهر والذل يتقن فيها الجلادون ويتباهون "بإنجازاتهم" في التعذيب الذي نسيه العالم منذ أجيال وها هي سوريا نفسها التي دربتهم تحاول، مع بشار، أن تتخلص من وصمة العار هذه وتغلق الرمز الذي رافق نظامها والذي تمثل "بالمزة" بينما يحرس جنودها جلادي وزارة الدفاع عندنا حيث القهر والذل والتكيل هم القاعدة.

ككل من بقي في الجنوب، دخل بركات منذ اسبوعين إلى "البستيل" وبدون تهمة وبدون ذنب، ولم يرحمه الجلادون، فسقط تحت ضرباتهم ولحق بالذين سبقوه وأضيف إلى لوائح الشهداء.

لم تتعرف زوجته عليه سوى من ثيابه فقد بقيت آثار "الكرامة" على جسده وتزينت أنحاءه بعلامات "الخير" و "المحبة" التي توزعها هذه الدولة وأصحابها على كل الموقوفين بدون ذنب. فمن اعترف بذنب قد لا يحتاج للكثير من التعذيب ولكن المشكلة هي مع من لا ذنب عليه ويريدون له أن يعترف بذنب لم يقترفه ولا يعرف عنه شي. وبركات الكل يعرفه، ويعرف بأنه ليس من طينة من يحملون الذنوب أو يقترفونها.

في ذمة الله يا بركات، لا بل في ذمة الوطن.

أنت الشهيد الحقيقي وأنت المناضل الصادق،

أنت الذي سقط فعلاً في معركة الوطن ومن أجل أن يظهر على حقيقتهم هؤلاء الجلادون. وقد لحقت بفوزي الراسي الذي سقط قبلك بتهمة مختلفة، وبإبن القليعة جريس سعيد وكان هناك رمزاً ما في استشهادكم.

ولكن دماءكم لن تذهب هدراً، وكما تحمل كل الطغاة بالعالم مسؤولية الإرهاب والتعذيب والتنكيل بالناس، سوف يتحمل هؤلاء الذين يديرون أجهزة التعذيب عندنا مسؤولية أعمالهم.

فلن يدوم الاحتلال ولن ترحمهم العدالة وسوف يدفعون ثمن جرائمهم، فالعالم الحر يراقب ولو لم يتدخل، وشعب لبنان لن يقبل أن يستمر اسمه ورموزه موصومة بالعار.

تورنتو كندا ٢٠٠٠/١٢/٤